حول مختصر النّقود الجزائريّة
دراسة تاريخيّة وفنّيّة

لمياء شربال
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

1. مقدّمة

هذا المقال دراسة تاريخية وفنية موجزة عن النقود الجزائرية، إذ إن دراسة المسكوكات تتدرج تحت علم النميات وهو علم يبحث في النقود والأوزان والأختام والمقاييس والمداليات.

وكلمة السكة بحد ذاتها كما يعرفها المؤرخون العرب لفظة عبرت عن مسميات عدة كالنقوش المزينة للقطعة النقدية أحيانا، وقوالب السك أحيانا أخرى، ثم وظيفة السك، لتستقر في النهاية على النقود المتعامل بها على اختلاف أنواعها كالدينار والدرهم والفلس وغيرها.

والسكة تعتبر مظهرا من مظاهر سلطة الخليفة أو السلطان، أو من ينوب عنهما. فهي كما يقول ابن خلدون: «وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات».

2. دراسة فنية وتاريخية

يطرح هذا الموضوع عدة تساؤلات نلخصها في الأدوار المختلفة للسكة، وكيف أنه من خلال الرسوم والعلامات والرموز الموجودة فيها، يستطيع الفنان المبدع إيصال رسالته الفنية، ويكشف عن النواحي السياسية والتاريخية والاجتماعية والحضارية والثقافية والفنية بأسلوبه الفني المتميز؛ لكن ما يؤسف له أن دراسة المسكوكات لم تصل بعد الى المستوى الذي يليق بهذا الأثر الهام.

ويستدل صالح بن قربة[1] بأمثلة لباحثين عرب ومسلمين في هذا العصر أسهموا في هذا النوع من الدراسات، ففي مصر مثلا نجد عبد الرحمان فهمي، وفي سوريا أبو الفرج العش. أما في تونس فنجد حسن حسني عبد الوهاب، حامد العجلي ومحمد الشابي. وفي العراق نجد السيد ناصر محمود النقشبندي، باقرالحسيني، مهاب درويش لطفي، وداد القزاز.

أما في الجزائر فقد ساهم في هذا الموضوع رشيد بورويبة بأبحاث علمية، رشيد الدكالي، عبد الرحمن الجيلالي، منير بوشناقي.

أما الباحثين والعلماء الأجانب، فنذكر على سبيل المثال لافوا الذي سجل في مجموعته الرائعة جميع ما تملك المكتبة الأهلية بباريس من نقود اسلامية. والعالم» برث» الذي ألف كتابا قيما عن نقود المغرب. كما أسهم كذلك الأستاذ «بل» في هذا الموضوع ببحث رائع عن النقود الموحدية المكتشفة في تلمسان. كما شارك كذلك «هازار» و«فروجة ذي كانديا» بأبحاث علمية.

وبناء على ما سبق ذكره تتجلى جليا أهمية دراسة العملة الجزائرية دراسة موضوعية جامعة بطريقة علمية.

تبرز إشكالية الموضوع في اختبار الفرضية العامة التي تعتبر السكة بمثابة مرآة للمجتمع تعكس كل جوانبه، والأوراق النقدية بمثابة اللوحات الفنية تترجم الواقع المعيش والماضي وتطلعات المستقبل.

كما تكمن إشكالية البحث كذلك في اختبار صحة الفرضيات الجزئية التي تعتبر أن السكة تعكس الجانب التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري والثقافي والفني للبلاد.

هذا ما سنحاول اكتشافه باتباع المنهج التحليلي والدراسة الميدانية، بما في ذلك من اختبار الفرضيات المقترحة. اعتبارا لواقع النقود في الحياة اليومية، وحرصا على تأكيد أهميته لدى الفرد والمجتمع والدور الذي يؤديه، استندت في إعداد خطة البحث من الناحية المنهجية على النتائج المستخلصة من الاستبيانات التي أجاب عنها مدير البنك المركزي الجزائري وبعض المختصين، وكذلك بعض الدراسات والتقارير التي مست جوانب اجتماعية شتى.

كما استندت في إعداد الخطة على توظيف النتائج التي حققها البنك المركزي الذي سن سياسة ومنهجية للقضاء على تزوير الأوراق النقدية، وذلك بوضع العلامات المائية المسماة بالفلغران والهلوغرام وتعتبر أحدث ما توصلت اليه التكنولوجية في هذا المجال.

هذا ما جعل البنك المركزي يصدر نقودا كل عشر سنوات تقريبا، ويزود الأوراق النقدية بأحدث الاختراعات التكنولوجية، وفي كل سلسلة من التداول يصدر موضوع جديد للتعريف بمدن الجزائر ومناظرها وبتاريخها وغزواتها وانجازاتها وثوراتها التنموية في شتى الميادين.

وهنا تظهر قدرات الفنان المبدعة من خلال رسوماته على الأوراق النقدية، ومدى عبقريته في ايصال رسالته الانسانية الحضارية والثقافية والاعلامية والفنية الى الشعب الجزائري برمته في داخل الوطن وخارجه.

وتصبح هذه الأوراق النقدية عبارة عن لوحات فنية خالدة تظهر من خلالها رسالة الفنان المبدع وقدراته ومهاراته الفنية من حيث الأشكال والألوان والرموز والدلالات والخطوط والزخارف والظلال والكتابة...إلخ.

وتعكس لنا هذه الأوراق النقدية انجازات الجزائر في شتى المجالات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والسياسية والإعلامية والحضارية والثقافية والفنية. وتعتبر أيضا هذه الأوراق النقدية بمثابة صفحات لكتاب مفتوح، فالنقود مصادر تاريخية وأثرية ووثائق في غاية الأهمية يستعين بها كل من المؤرخ والأثري والباحث... إلخ.

لذا حرصت أن أعطي، في حدود إمكانياتي، صورة موجزة، أرجو أن تكون واضحة عن مفهوم هذا العلم وعن النظام المصرفي الجزائري، كما حاولت التعريف بإيجاز بتاريخ البلاد وسياستها واقتصادها وثقافتها، وانتهيت بإعطاء لمحة وجيزة عن هذا الفن ومذاهبه وأهميته بالنسبة للمجتمع، والتعريف بأبرز الشخصيات الفنية في الجزائر، وحاولت من خلال الدراسة والتحليل اختبار صدق كل الفرضيات المطروحة.

والهدف من هذه الدراسة هو إبـراز أهمية علم النميات وحث الباحثين لاكتشافه ودراسته دراسة جدية، اذ يعتبر هذا النوع من العلوم فرعا من فروع التاريخ كما أنه علم وفن وتقنية في الوقت نفسه، فهو بذلك بمثابة موسوعة العلوم والمعارف.

وبما أن الغاية من الرسم هي تنمية الخيال والتفكير والملاحظة والابتكار وتعويد المرء على تذوق الجمال والشعور به والتعبير عن أفكاره وخواطره في وصف ما يحيط به من جمال الطبيعة، فكانت السكة والورقة النقدية خير أداة يجسد فيها الفنان إبداعاته من خلال النقش والرسم والكتابة والزخرفة والرموز.

تأثر الفنان الجـزائـري بفضوله وطموحه بـالمـدارس الفنية كالواقعية والانطباعية والتجريدية ومدارس فنية أخرى، فراح يجدد الأسلوب الواقعي على الأوراق النقدية متأثرا بما يحيط به من مناظر طبيعية وآثارات وفنون تقليدية وزخارف نباتية وإسلامية ومن حيوانات محلية وأشخاص، فكل هذه العناصر زادت الأوراق النقدية رونقا وجمالا، فضلا عن الخط العربي الذي يرمز إلى العروبة والأصالة.

أما عن المناظر الطبيعية الصحراوية منها والتلية فتبين أن بلادنا تحتوي على منطقتين مختلفتين الأولـى بلونها الذهبي وما فيها من ثـروات طبيعية وحيوانات كالغزال والطيور كما تشير إلـى سكان المنطقة المعروفين باسم التوارق وملابسهم المتميزة؛ والثانية بلونها الأخضر رمز الرجاء والهدوء، والذي يعتبر من الألوان الباردة كاللون الأزرق الذي يرمز إلى لون السماء.

كما نلاحظ على الأوراق النقدية آثار يعود إلى عهد الرومان والأتراك، وهذا دليل على أن الحضارات التي مرت ببلادنا قد تركت بصمات يشهد لها التاريخ.

كما تفرعت عن الزخارف التي تزين هذه المناظر إلى زخارف هندسية نباتية وعربية حيث تعتبر الطبيعة وما فيها من مرئيات أساسا لكل زخرفة صحيحة فهي مصدر إلهام وخيال للفنان.

أما الزخرفة الإسلامية فقد بدأت عقب ظهور الإسلام وازدهرت بانتشاره فزادت هذه الزخرفة الأوراق النقدية الجزائرية جمالا ورونقا بليونتها ودقتها.

كما نلاحظ على النقود إشارة إلى الفنون التقليدية لمختلف مناطق القطر الجزائري وما يزخر به من أعمال فنية بديعة توحي بأصالة كل منطقة من مناطق البلاد. وهذا كله ان دل على شيء فانما يدل على أن هذه الأعمال ما هي إلا مرآة المجتمع الجزائري الذي يزخر بحضارة وثقافة عريقة تعكس القدرات الابداعية والاستعداد الفني الذي يتمتع به هذا المجتمع.

أما بالنسبة للخط العربي فقد نشأ بسيطا كغيره من الفنون ثم تطور شيئا فشيئا وتناولته الأجيال عبر التاريخ بالتحسين والتزويق حتى بلغ هذا القسط من الجمال والضبط، ولا نريد بالخطوط الكتابة بل نقصد بها الكتابة الفنية ذات القواعد والأصول الثابتة.

أما الكتابات الموجودة على الأوراق النقدية فقد تميزت بخط النسخ رمز الأصالة، فهو خط جميل، وزيادة على المقاييس المحددة للأوراق النقدية فإن التركيب والتكوين عنصران هامان لضمان نجاح لوحة فنية، وهذا ما نلاحظه في المنظور المستخدم عن بعد وقرب.

شكل 1 : «المحمدية»
في الوجه والظهر للقطعتين
مصنفة من طرف السيد عبد الرحمن
الجيلالي في 1250 هـ [1834-1835م]
في وجه القطعة النقدية : ضرب في تاقدمت.

شكل 2 : «المحمدية»
ضرب في 1252 هـ [1836 - 1837 م]
في وجه القطعة النقدية :
ضرب في تاقدمت 1252
إن الدين عند اللّه الإسلام

شكل 3 : «المحمدية»

ضرب في 1254 هـ [1834-1835م]

في وجه القطعة النقدية : ضرب في

تاقدمت 1254

إن الدين عند اللّه الإسلام

شكل 2 : «النصفية»

«من فضة ضرب في 1254 هـ [1838 - 1839 م]

في وجه القطعة النقدية :

اللّه حسبنا ونعم الوكيل.

نلاحظ غياب الخطوط الأفقية لكن نفس

التزويق في الهوامش كالقطع السابقة.

شكل 5 : «المحمدية»

ضرب في 1255 هـ [1839-1840م]

في وجه القطعة النقدية : ضرب في

تاقدمت 1255

في ظهر القطعة النقدية :

إن الدين عند اللّه الإسلام

شكل 6 : «المحمدية»

ضرب في 1256 هـ [1840-1841م]

في وجه القطعة النقدية : ضرب في

تاقدمت 1256

في ظهر القطعة النقدية :

إن الدين عند اللّه الإسلام

شكل 7 : «المحمدية»

في ظهر المحمدية نلاحظ 3 دائرات الدائرة المركزية مكونة من مجموعة نقط. الأسطر الأفقية تنتهي على شكل رجل وزة و النص القرآني مقسم الى 3 سطور

في السطر الأول : إن الدين

في السطر الثاني : عند الله

في السطر الثالث : الاسلام

شكل 8 : «المحمدية»

في وجه المحمدية :دوائر بنفس المركز القطعة مقسمة أفقيا على 2 بامتداد الحرف ف

و عموديا بامتداد الحرف د لتاقدمت التاريخ وضع في الجزء السفلي للقطعة النقدية.

هاتان الورقتان بتاريخ : 1917

هذه الورقة بتاريخ : 1924

هذه الورقة بتاريخ : 1928

هذه الورقة بتاريخ : 1929

هذه الورقة بتاريخ : 1932

هذه الورقة بتاريخ : 1936

هذه الورقة بتاريخ : 1939

هذه الورقة بتاريخ : 1940

هذه الورقة بتاريخ : 1941

هذه الورقة بتاريخ : 1942

هذه الورقة بتاريخ : 1943

هذه الورقة بتاريخ : 1944

هذه الورقة بتاريخ : 1945

هذه الورقة بتاريخ : 1948

هذه الورقة بتاريخ : 1955

هذه الورقة بتاريخ : 1956

هذه الورقة بتاريخ : 1958

هذه الورقة بتاريخ : 1959

3. خلاصة

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة الوجيزة أن السكة تعتبر بالفعل بمثابة مرآة المجتمع تعكس كل جوانبه، وخاصة التاريخية، فمن خلال تطلعنا إلى المراحل التي مرت بها بلادنا نعي ما كابده أبناء هذا الشعب الأبي لكي نحيا وتحيا الأجيال الصاعدة في عزة وكرامة واستقلال، ولكي نستخلص العبر ونستعد بالإيمان والعلم والإخلاص لبناء البلاد وتطويرها في شتى الميادين.

كما تحيلنا هذه الرموز والدلالات والنقوش الموجودة في السكة إلى الوضع الجغرافي للبلاد وإلى سياستها والحضارات التي عرفتها وإلى تقاليد وفنون وطننا.

ونستنتج من خلال دراسة القطع والأوراق النقدية أن للسكة أدوارا عديدة تلعبها في حياة المجتمعات اليومية، سواء الاقتصادية منها كتسهيل التعامل والتبادل التجاري، أو تعريفنا بالسياسات التنموية للبلاد وثوراتها الزراعية والصناعية والثقافية، أو الدور الإعلامي الذي ربما يزيد بكثير عن الدور الاقتصادي وذلك لما له من تأثير في نفوس العامة بل هو تماما ما تلعبه الصحافة حاليا على اختلافها، كما تضرب هذه النقود في عدة مناسبات سواء سياسية أو اجتماعية أو دينية والغرض من ذلك توصيل آراء ضاربيها ومبادئهم وعقائدهم للعامة.

ويستخدم صاحب النقد نقوشا كتابية أو رسوما أو علامات أو رموزا تفصح عن غرض صاحبها. كما أنها تعتبر مدرسة للتصوير في مراحلها المختلفة ومدرسة لتطور الخط العربي بأنواعه، بل مدرسة للفنون الزخرفية والهندسية والفلكية وغير ذلك بالإضافة إلى ما تضمنه من كنى وألقاب ومدن ضرب، ومن تم يمكن اعتبارها جامعة العلوم والمعرفة زيادة عن كونها تمثل جانبا وثائقيا هاما، وبالتالي فهي تعد أهم المصادر لكتابة التاريخ.

بالتالي تتحقق صحة كل الفرضيات الجزئية ويتضح أن للسكة عدة أدوار مهمة تستحق بالفعل الدراسة والبحث الجدي في هذا اللون من العلوم ألا وهو علم النميات.

إنني لا أدعي أن هذا البحث قد استكمل عدته وتجاوز كل النقائص، ولكنني سأحاول تسديد ثغراته شيئا فشيئا لأنني مقتنعة بأن مثل هذه المواضيع لم تنل حقها من الدراسة في مختلف الميادين التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. وغيرها.

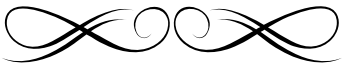

المصادر والمراجع

أ- باللّغة العربيّة

1. بن قربة (صالح)، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.
2. الجيلالي (عبد الرحمان)، حول سكة الأمير عبد القادر، وزارة التربية الجزائر، 1966
3. الشافعي (حسن محمود)، العملة وتاريخها، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970 م.
4. القزوني (شاكر)، محاضرات في اقتصاد البنوك، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.
5. بن نبي (مالك)، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، 1979.
6. بن نبي (مالك)، آفاق جزائرية للحضارة – للثقافة والمفهومية، ترجمة الطيب شريف، بيروت، دار الفكر، 1971.
7. دفتر (ناهض عبد الرزاق)، المسكوكات، العراق، دار التعليم العالي، 1982.
8. هني (أحمد)، العملة والنقود، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.
9. ولعلو(فتح الله)، توزيع المداخيل - النقود والائتمان، دار الحداثة، لبنان، 1981.
10. ماري (أنستاس) الكرميلي البغدادي، النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، المطبعة العصرية، 1939.

أ- بغير العربيّة

1- Bouchnaki, M, la monnaie de l'émir Abd-el-kader, Alger, SNED , 1976.

2- Brethes, contribution à l'histoire du Maroco par les recherches numismatiques, Casablanca, 1939.

3- Berger Pierre, la monnaie et ses mécanismes (que sais-je), éditions bouchène, Alger,1993.Presse universitaires de France,1968.

4- Bosauquet , B , A history on a esthetic ,Introduction, London 1892

5- Gentari Mohammed, organisation politico-Administrative et Militaire de la Révolution Algérienne de 1954 à 1962. Alger, office des Publications universitaires, 1994.

6- Johnson (eds). African perspectives, papers in the history, Politics and economics of Africa present to Thomas Hodgkin. Cambridge University. 194 du 7 Juin 1998 portant désignation de l'institution chargée de la Privatisation.

7- Ct Assalet, Numismatique française de la 1er République (1792) à
Nos jours (1938), paris, 1938.
8- Dr Baudens, relation historique de l'expédition de Tagdempt, Paris,1841.
9- A. Djilali, quelques considérations sur la monnaie de l'Emir Abd-el-kader, Alger, 1966.
10- P.Ernest-pjcard, la monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, Alger,1930.
11- J.Farrugia de Candia, Monnaies algériennes au musée du Bardo, dans Revue Tunisienne, n 45-57, 1941, p.131.
12- J.Mazard, histoire monétaire et numismatique des colonies et De l'Union française, Paris, 1953.